قضية الانتحال في الشعر الجاهلي

الباحثة : نجلاء أحمد محمد المالكي .

جامعة الملك عبدالعزيز .

الكلية : الآداب والعلوم الإنسانية.

القسم : اللغة العربية و آدابها .

بالمملكة العربية السعودية .

١٤٤٠هـ_ ٢٠١٩م .

الملخص :

سوف أتناول في هذا البحث الأدبي المبسط قضية مهمة في عالم النقد الأدبي وهي قضية شغلت بال الأدباء والناقدين قديما وحديثا حتي شغلت العرب والمستشرقين معا ، وسوف أبدأ بحثي بالحديث عن الفرق بين النحل والانتحال والوضع ، ثم قضية الانتحال عند القدماء وسوف أختار من بينهم **(ابن سلام الجمحي)** و**(محمود شاكر)** ثم أنتقل إلي المستشرقين وسوف انتقي منهم اثنين هما **(نولدكه)** و **(مرجليوث)** ، ثم أتناول هذه القضية عند المحدثين مثل **(مصطفى صادق الرافعي)** و **(طه حسين)**، وأنتهي بأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال اطلاعي على مصادر ومراجع النقد الأدبي، راجية من الله التوفيق والسداد وأن ينال بحثي إعجابكم ، والله من وراء القصد والسبيل .

واستنتجت من هذا البحث عدة نتائج أهمها أن الانتحال والطعن في الشعر الجاهلي عامة فهو من ضمن مساوئ وسلبيات قام بها المستشرقون في دراساتهم وبحوثهم، وان التشكيك في التراث العربي بالطعن في أصوله هدف يريد هؤلاء من ورائه الوصول إلى الطعن في القرآن الكريم والتشكيك فيه؛ لأنه ينبني على هذه النظرية الطعن في إعجاز القرآن الكريم، فإن في إنكار الشعر الجاهلي والأدب الجاهلي إنكارا لكون القرآن الكريم معجزة جاءت لتحدي العرب الذين برعوا في صناعة الكلام ، دافع وضح محمود شاكر على الشعر الجاهلي وبين أن أفكار طه حسين وأمثاله المتعلقة بالشعر الجاهلي ليست إلا مجرد سطو على أفكار المستشرقين قبلهم، ولاسيما مرجليوث الذي سطا الدكتور طه حسين على أراءه سطوا .

مقدمــة :

الحمد لله رب العالمين حمدَ من أقرَّ بالنعم، الراجي أن يكون قد خرج إلى النور بعد الظلَم، فله الحمد تعالت قدرته بين الكاف والنون، وتناهى في الملكوت علمُه فأقسم بالقلم وما يسطرون، وأشكره شكر متفضَّل عليه، مملوء من نعمته حتى أخمص قدمي ، وأصلي وأسلم على أشرف المرسلين أفصح العرب لسانا وأعلاهم بيانا ، وعلى أصحابه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد ...

وبما أن قضية الشعر الجاهلي المنتحل تمثل جدلاً واسعاً له أهميته في أوساطنا النقدية من حيث صلته بتوثيق النصوص، وتاريخ التطور الفني؛ لذا فإنه الحكم على ما توفر لدينا من هذا الشعر ليس الكلمة الفاصلة، إذ أنه لا يزال تراثنا الشعري موزعاً بين مكتبات العالم سواء أكان مخطوطاً أم مطبوعاً، وآية ذلك أن هناك ستين، وقيل ثمانين ديواناً من دواوين القبائل العربية لم يحقق الكثير منها إلى الآن..، وعجباً على ما صرنا إليه.

إننا لا نعدو الواقع حين نقول: إنها ظاهرة أدبية شأنها شأن الكثير من الظواهر العلمية الأخرى، هذه الظاهرة لا يختص بها الأدب دون غيره من العلوم والمعارف، ولا تختص بها جماعة من الناس أو أمة من الأمم دون أخرى، فكما عرفتها أمتنا العربية فقد عرفتها الامم الأخرى التي كان لها موروث إنساني، وذلك هو حال التراث في كل أمم الأرض قد تعرض للشك والاتهام، كما رمى الكثير منه بالاختلاق والانتحال؛ إما عن سوء فهم، وإما عن سوء تفسير.

وهنا آن لنا أن نتساءل فنقول: هل اقتصر الاتهام على أدبنا الجاهلي ذاك التراث الخالد والمقياس الأعلى، والنموذج الأصيل الذي لم ينل من الوسائل الدقيقة للمحافظة عليه ما كفل له البقاء سليماً من الشوائب، منذ وجوده حيث كان يلقى، وينشد، ويحفظ، ويروى عن طريق المشافهة ولم يدون إلا بعد زمن طويل..؟!!

بالطبع لا..، فكما عرفها الأدب الجاهلي عرفها الأدب الإسلامي حيث وضع المسلمون شعراً، ونسبوه لأبي بكر الصديق حتى لقد روي الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت: كذب من أخبركم أن أبا بكر قال بيت شعر في الإسلام!!..

لقد عرفها أدبنا الأموي، وكذلك العباسي، وكفي ما جاء إلينا عن المتنبي، وسرقاته الشعرية، والقدح في شاعريته، ثم عرفها أدبنا الحديث، ويكفي ما قيل عن شوقي وسرقاته الشعرية من المتنبي، وتآلف عليها –تحديداً– حاضرنا الذي نما فيه على الرغم من تعدد وتطور وسائل الحضارة الحديثة التي كانت قمينة أن تبرئ نتاجنا الأدبي من هذه الظواهر لو كان هناك سبيل للخلاص منها [1].

أسئلة البحث :

هذا البحث يحاول الإجابة عن سؤال طالما تردد كثيرا هل الشعر العربي منتحل أم لا ؟ ويتفرع منه عدة أسئلة هي :

١- ما هو الفرق بين النحل والانتحال والوضع ؟

٢- ما هي قضية الانتحال عند العرب القدماء ؟

٣- رأي المستشرقين في قضية الانتحال ؟

٤- ما هي قضية الانتحال عند المحدثين ؟

أهداف البحث :

٥- بيان الفرق بين النحل والانتحال والوضع .

٦- التعرف إلي قضية الانتحال عند العرب القدماء .

٧- التعرف إلي رأي المستشرقين في قضية الانتحال .

٨- التعرف إلي قضية الانتحال عند المحدثين .

[1] ( ) انتحال الشعر الجاهلي بين المد الإنكاري المقسم والتصدي الأزهري الموجه، حسام محمد علم .

الفصل الأول

قضية الانتحال عند العرب قديمًا

ودراسة قضية الانتحال تعني دراسة هذه الظاهرة في عصر الجاهلية وغيرها، ومدى وجود الوضع في الشعر العربي، وحقيقته وأسبابه، وأثاره والنتائج المترتبة عليه . وقد تصدى العلماء لها عموما، إلا أن هذه القضية اشتهرت لصلتها بالعصر الجاهلي وشعره، وما حصل فيه من وضع واختلاق .

وقد درسه العلماء قديما وحديثا، فأما في القديم فقد درسه ابن سلام الجمحي (ت :٢٣١ هـ) في كتابه (طبقات فحول الشعراء) دراسة تفصيلية موضوعية، وأما في الحديث فقد درسه المستشرقون والباحثون العرب في كتبهم وبحوثهم ومقالاتهم[١] .

الفرق بين النحل والانتحال والوضع :

النحل والانتحال والوضع مصطلحات تدل في أصل معناها على التزوير وتزييف الحقائق . والنحل في الشعر: نسبة الشعر إلى غير قائله الحقيقي . والانتحال : أن يدعي رجل شعر غيره وينسبه إلى نفسه . قال الأعشى :

فما أنا أم انتحالي القوا في بعد المشيب كفى ذاك عارا

والوضع أعم منهما سواء كان نحلا أو انتحالا ، وقضية الانتحال في المصطلح الشائع تعني : القضية التي تتعلق بوضع الشعر ونسبته إلى غير ما هوله مطلقا، فهي ليست متعلقة بنسبة الشعر إلى النفس وهو للغير فقط، وإنما هي نسبة إلى الغير مطلقا [٢] .

الأدب الجاهلي أدب قديم، كان يلقى، وينشد، ويحفظ، ويروى عن طريق المشافهة، والروايات الشفهية، ولم يدون إلا بعد زمن طويل، وكل أثر له قيمته وأهميته وتكتنفه مثل هذه الظروف، يكون عرضة للشك والاتهام، والقيل والقال، والظن، والطعن في أصله، ونسبه، وأصحابه، وصحته، وصدقه، وقيمته، وحجمه، ونقصه، والزيادة عليه، وما

---

[١] () وسيم المحمدي ، دراسة بعنوان : قضيه الانتحال في الشعر العربي ، مجلة دار المنظومة ، المدينة المنورة .

[٢] () لسان العرب ، ١٤/٧٤-٧٥

إلى ذلك مما قد يعرض لفكر الإنسان وعقله من شكوك وظنون حينما يتصدى لدرس أثر من الآثار لم ينل من وسائل المحافظة عليه والاحتياجات الدقيقة ما يكفل له البقاء سليمًا صحيحًا:

والأدب – في كل أمة من الأمم، وبخاصة ما فيه من نصوص رائعة – من الآثار الفنية الممتازة، التي تعتز بها الأمم وتفتخر، وتعتبرها دليل مجدها، وسجل مفاخرها، ومن ثم تعرضت الآداب القديمة في كل الأمم للشك والاتهام، ورمي كثير منها بالاختلاق والافتعال، فاتهم الأدب الجاهلي بالوضع والانتحال، وحدث مثل هذا للآداب القديمة الأخرى كالآداب اليونانية والرومانية والإنجليزية، فقد رمي كل أثر من هذه الآثار القديمة الخالدة، بأنه ليس لأصحابه الذين يدعى أنه لهم، وأنه دخله كثير من التحريف والتزييف والادعاء، فليست الأمة العربية أول أمة رمي أدبها الجاهلي القديم بالوضع والانتحال، وإنما الأمم الأخرى رميت آدابها القديمة بمثل هذا الاتهام.

والأدب بعامة، والشعر منه بخاصة، كانت العرب في جاهليتها وإسلامها تكبره وتجله، وكانت له منزلة سامية في نفوسهم، وكانت القطع الرائعة فيه تحظى بالعناية والاحترام، وكان أصحابها يلقون منهم مهابة وإجلالًا، لذلك نتوقع أن تكون الروائع الأدبية محلًا للادعاء [1] ، فيدعي أكثر من واحد أنها له، وكانت القبائل تعتز بما لها من نتاج أدبي، وتتيه على غيرها بالكثير المحفوظ لها منه، ويعتز السادة بما قيل فيهم وفي أسلافهم من روائع القول وفصيح البيان، فتسابق الكل في جمع ما كان لهم ولذويهم وأسلافهم من آثار، وأحس الرواة هذا الاهتمام من الجميع، فتسابقوا هم كذلك، في الجمع والرواية، وتنافسوا في الإكثار من ذلك ليفوق كل منهم سواه في الحظوة، والمنزلة، والمكافأة. وبطبيعة الحال نتوقع كذلك أن يتطرق إلى الأدب شيء من الدخيل، أو ما يظن أنه دخيل.

ولم تكن هذه الملاحظة لتغيب عن الثقات من العلماء والرواة والباحثين منذ جمع الأدب الجاهلي وتدوينه، فقد تنبهوا إلى ذلك ووقفوا على كثير من النصوص التي

---

[1] () علي الجندي ، الكتاب: في تاريخ الأدب الجاهلي ، الناشر: مكتبة دار التراث ، الطبعة: طبعة دار التراث الأول ، سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، ص١٧٤ .

ليست أصيلة، فعرفوها، ولم يقبلوها، واستطاعوا أن يميزوا بين الأصلي والمختلق، ويتبينوا الصحيح من الزائف. وكتب الأدب والتاريخ مملوءة بذكر ملاحظات هؤلاء الثقات وتنبيهاتهم، من الرواة أمثال المفضل والأصمعي، وأبي عمرو بن العلاء، وأبي عبيدة معمر بن المثنى.

من ذلك مثلًا، ما روي عن أبي عبيدة أنه قال: "كان قراد بن حنش من شعراء غطفان، وكان جيد الشعر قليله، وكانت شعراء غطفان تغير على شعره، فتأخذه وتدعيه".

ويروى أن أبا عمرو بن العلاء، ذكر أن ذا الإصبع العدواني قال يرثي قومه :

وليس المرء في شيء ... من الإبرام والنقض

إذا يفعل شيئا خا ... له يقضى وما يقضي

جديد العيش ملبوس ... وقد يوشك أن ينضي

ثم نص على أنه لا يصح من أبيات ذي الإصبع التضادية هذه إلا الأبيات التي أنشدها، وأن سائرها منحول [1].

ابن سلام وقضية الانتحال في الشعر الجاهلي:

وكان محمد بن سلام المتوفى سنة ٢٣١هـ أول من درس قضية الانتحال وآثارها في كتابه "طبقات فحول الشعراء" إذ أورد فيه كثيرًا من الملاحظات والآراء التي تدل على دراسة :

أولا: أقر ابن سلام بالوضع في الشعر الجاهلي ووجوده فيه بشكل لافت، فقال : "وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه، ولا حجة في عربية، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج، ولا مثل يضرب، ..." إلى أخر كلامه ، ثم أشار إلى انتشار هذه الأشعار من كتاب إلى كتاب، وعدم تفحص بعض العلماء فيها، ونشرها على حالها.

ثانيا: ذكر ابن سلام أسباب الوضع والانتحال في الشعر الجاهلي، وأرجعها إلى سببين رئيسين:

[1] () مرجع سابق ، علي الجندي ، الكتاب: في تاريخ الأدب الجاهلي ،ص١٧٥ .

١. العصبية القبلية : فهي من الأسباب التي دعت بعض القبائل إلى وضع الشعر ونسبتها إلى شعرائها في العصر الجاهلي ؟ لأنها استقلت شعرها بالمقارنة بأشعار القبائل الأخرى .

٢. يقول ابن سلام : " فلما راجعت العرب رواية الشعر، وذكر أيامها ومأثرها، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم، وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسنة شعرائهم " .

٣. الرواة الوضاعون : يقول ابن سلام : " ثم كانت الرواة بعد، فزادوا في الأشعار التي قيلت "[١].

وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين:

قسم يجيد الشعر ويحسن نصه، فينظم الأشعار ويضيفها إلى الجاهلين، وهؤلاء أمثال خلف الأحمر البصري، وحماد الراوية الكوفي.

قسم لا يجيد الشعر ولا يحسن نظمه، وإنما يؤتى له بالشعر المنحول فيرويه في كتبه، وهؤلاء هم رواة السير والأخبار، كابن إسحاق في السيرة النبوية . وقد نقده ابن سلام نقدا شديدا حيث قال : "وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه محمد بن إسحاق بن يسار...، وكان اكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك، فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر، أتينا به فأحمله، ولم يكن ذلك له عذرا [٢] .

ثالثا: ذكر ابن سلام أن هذا الشعر المصنوع لا يخفى على العلماء بالشعر وان أشكل عليهم أحيانا، فقال : " وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا، ولا ما وضع المولدون، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء، أو الرجل ليس من ولدهم، فيشكل ذلك بعض الأشكال " .

---

[١]() ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ، تحقيق محمود شاكر. القاهرة ١٩٥٢ ، "طبع دار المعارف" ص ٤٦ .

[٢]() ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ص٤٧ .

وقال أيضا: " وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات ... من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا تعرفه بصفة ولا وزن، دون المعاينة ممن يبصره ... فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به" .

رابعا : ذكر ابن سلام علماء اللغة ورواة الأشعار بإسهاب، ومقدرتهم على الشعر، وتمكنهم منه، ومعرفتهم جيده من رديئة، وصحيحه من سقيمه، وصحته من كذبه، وأغلبهم النحاة وعلماء اللغة، وذلك لما لهم صلة مباشرة قوية بالشعر لما يحتاجون إليه في الاستشهاد وتقعيد القواعد، ولاسيما في ذلك الوقت المبكر الذي كان وقت تدوين علوم العربية.

فذكر أبا الأسود الدؤلي، ويحيى بن يعمر، وعبد الله بن أبي إسحاق، وأبا عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، ويونس، والخليل، ثم ختم الكلام بذكر خلف الأحمر وفراسته بالشعر، والأصمعي، وأبي عبيدة، وكلهم من البصرة، ولم يذكر من غير أهل البصرة إلا المفضل الضبي.

إذا نستخلص إلى أن ابن سلام اعترف بوجود الانتحال في الشعر الجاهلي، ووجود أشعار لافتة ليست منه، كما ذكر أسباب ذلك وعلماءه، إلا أنه ركز على أنه ليس بخفي على علماء اللغة والشعر، ومن لهم اهتمام بهذا الفن، !وان أشكل عليهم ذلك أحيانا بعض الإشكال [1].

ولم يكن ابن سلام أول من أشار إلى هذه القضية، فقد سبقه إلى ذلك المفضل الضبي ، والأصمعي، وبعض الشعراء كبشار بن برد .

كما أشار إلى هذه القضية ابن هشام صاحب السيرة النبوية، إذ تعقب ابن إسحاق فنقد الشعر الذي جاء به في السيرة النبوية، وأشار إلى نقد العلماء له، وكذلك فعل ابن النديم، إلا أن ابن سلام درس هذه القضية دراسة فنية، وحاول أن يبين أهم ما يتعلق بهذه القضية .

[1] () ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ص٢٣ و١٢ .

قضية الانتحال والعلامة محمود شاكر – رحمه الله تعالى:-

لقد بذل العلامة محمود شاكر رحمه الله جهودا جبارة في الدفاع عن العربية، ومن ضمنها ما قدّم في قضية الشعر الجاهلي بالعموم، وفي قضية الانتحال بالخصوص، ونركز هنا على ما قدمه في قضية الانتحال من جهود مخلصة من خلال أمور:

أولا :ما واجه به الدكتور طه حسين، وذلك حينما بدأ الدكتور طه حسين يلقي محاضراته التي عرفت بكتاب "في الشعر الجاهلي"، وبيّن الصواب أمام الطلاب، وناقش الدكتور ما استطاع أن يناقش، وكشف عن عواره وأخطائه فيما يقوله ،وكل ذلك مع هيبة طه حسين التي دخلت فينفسه.

ثانيا :ما كتبه في كتابه "المتنبي" الذي نشره في سنة (١٩٣٦م) في مجلة المقتطف كاملا، فقد كشف فيه عن أشياء كثيرة تتعلق بهذه القضية، وذكر ما حصل بينه وبين الدكتور طه حسين في أيام الدراسة، وأشار إلى أمور هامة، منها:

١. أن أفكار طه حسين وأمثاله المتعلقة بالشعر الجاهلي ليست إلا مجرد سطو على أفكار المستشرقين قبلهم، ولاسيما مرجليوث الذي سطا الدكتور طه حسين على أراءه سطوا
٢. إن اعتماد الدكتور على ديكارت في قضية المنهج والشك ليس بواقعي، وإنما قصده التهويل بذكر ديكارت، وإلا فهو مخالف لما هو عليه ديكارت أيضا .
٣. إن السطو الذي قام به الدكتور طه حسين قد عرفه بعض المستشرقين، ولكنهم كانوا يداورون، ولا يصرحون بالحقيقة .
٤. ذكر رحمه الله بما قام به الدكتور طه حسين من إفساد ومضرات لحقت بالجيل الناشئ
٥. ذكر عدم اقتناع الدكتور طه حسين بأفكاره التي أخذها من مرجليوث، ورجوعه عن كثير من أفكاره، ولاسيما فيما يتعلق بالشعر الجاهلي وانتحاله، كما ذكر مصارحته به معه أكثر من مرة .

ثالثا : دراسته القيمة التي قدّمها من خلال كتابه "قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام : وهي دراسة قيمة نادرة فذّة قدمها العلامة لقراء العربية، وقد نشر فيها أفكارا ومعلومات لم تنشر من قبل، فهي جديرة بالقراءة والدرس والنظر والتأمل [١].

وأهم ما قدمه العلامة في هذا الكتاب مما يتعلق بقضية الانتحال ما يأتي:

١. **إن الشعر الجاهلي الذي وصل إلينا ثلاثة أنواع :**

الأول :نوع سليم صحيح مبرأ من الأخطاء يعرفه أهل العلم والرواية الصحيحة عن أهل البادية، وهو قائم على حياله في هذه الكتب.

الثاني :شعر صحيح يعرفونه أيضا، ولكنه خلط بغثاء مصنوع ليس بشعر، وإنما هو كلام مؤلف معقود بقواف.

الثالث :غثاء مصنوع ليس بشعر، كثير لا خير فيه [٢].

٢. أقام بعض عبارات ابن سلام في قضية الانتحال، وأصلح ما أفسده التعبير، وبين سببه وعلته .

٣. صرح بأن الشعر الجاهلي وصل كما هو مبرأ من الأخطاء، وذلك إلى نهاية القرن الأول من الهجرة .

٤. ذكر اهتمام ابن سلام بالبصريين في ذكر علماء اللغة ورواتها.

٥. ذكر دقة الرواة وأمانتهم وما أعطوا من الذوق الذي بمجرده كانوا يفرقون بين مراتب الكلام، ومثل هؤلاء لا يخفى عليهم المنحول من الشعر أبدا.

٦. أنكر على ابن سلام قوله بأن المسلمين انشغلوا عن الشعر بالغزو والجهاد .

٧. صرح بالدليل القاطع بأن العرب في العصر الذي نزل فيه القرآن كان عندهم من الشعر القديم المعرق، ومن الشعر المحدث في زمانهم، وقبيل زمانهم بقليل؛ قدر لا يمكن تحديده أو حصره من هذا الشعر، وكان هذا القدر الوافر البليغ الوفرة ذائعا على الألسنة

---

[١]() وسيم المحمدي ، دراسة بعنوان قضية الانتحال في الشعر العربي، مجلة دار المنظومة ، المدينة المنورة، السعودية.

[٢]() محمود محمد شاكر، قضيه **الشعر الجاهلي** في كتاب ابن سلام ،مطبعة المدني، مصر، ط ١، سنة ١٩٩٧م ، ص٨٠.

في هذه الجزيرة العربية من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها، ومن أبعد شرقها إلى أبعد غربها، وأن هذا الشعر كان ملء أيامهم ولياليهم وساعاتهم، يناشدونه في كل منزل ، ويتمثلونه عند كل موقف وميسر، ويتذوقونه تذوقا بصيرا مرهفا؛ ويفضلون بعضه على بعض بما اكتسبوا من القدرة على هذا التذوق الفاصل بين أدق درجات البيان على اختلافها وتنوعها .

٨. ركز على التذوق المرهف الموجود عند الذين مارسوا هذه اللغة الفصيحة البليغة العالية، وجعله أكبر شيء به كان الممارسون بهذه اللغة يعرفون المنحول من غيره .

٩. بين أن الشعر الجاهلي السليم المبرأ من العيب ظل محفوفا بالكرامة والصدق حتى تلقاه العلماء بالشعر إلى أواخر المئة الأولى من الهجرة، وكان قبل أن تفتح أبواب العلوم العربية في عهدها المبكر منصوبا للتذوق البصير لأعلى البيان الانساني وأسناه، وكان الناس يتلقونه جواداً سابقاً.

١٠. لم يكن نزول القرآن العظيم داعياً إلى هجر شعر الجاهلية؛ بل كان حافزا مثبتا لهذا الشعر في النفوس بتكرار الذوق والتأمل، وبالمقايسة بين بعضه وبعض، وبينه وبين ما طوبعوا بأن يتبينوا أنه كلام الله المفارق لكلامهم ولكلام البشر.

١١. كل صحابي خرج من الجاهلية إلى الاسلام لم يخرج إلى إسلامه إلا بعد أن استوعب بهذا التذوق النافذ العميق قدرا هائلا من علم الكتاب المنزل حين تهدم الحاجز الكثيف، فانكشف له أن هذا الكتاب كلام الله المباين لكلام البشر .

١٢. صرح رحمه الله بعراقة الشعر الجاهلي وأصالته، وكونه كمقياس يعرف بممارسته وتذوقه فضل كتاب الله على كلام البشر من الفصحاء والبلغاء، وأثبت ذلك بالأدلة القاطعة .

الفصل الثاني

المستشرقين و قضية الانتحال في الشعر الجاهلي :

أولاً(نولدكه) : في سنة ١٨٦٤م "تناول المستشرق(نولدكه) الموضوع، فأشار إلى الشكوك التي يثيرها مظهر الشعر الجاهلي. وبعد ثماني سنوات تناول المستشرق أهلوارد المسألة بدون أي تجديد فيها، فعرضها بدقة لم يتناولها سلفه، وقال: إن الوثائق المروية غير موثوق بصحتها، إن من ناحية المؤلف، أو ظروف النظم، أو ترتيب الأبيات، فمن الواجب إذن إخضاع كل أثر من القرن السادس وأوائل السابع لفحص دقيق قبل قبوله".

ثانيا **(مرجليوث margoliouth) :**

وفي سنة ١٩١٦ نشر المستشرق **(مرجليوث margoliouth)** بحثا عن الشعر الجاهلي، في المجلة الأسيوية الملكية، وكان قد تحدث عن وضع الشعر الجاهلي قبل ذلك في مادة "محمد" من دائرة معارف الأديان والأخلاق encyclopaedia of religion and ethics وفي كتابه عن "محمد وظهور الإسلام" mohamed and the rise of islam وقد تصدى للرد عليه سير تشارلز ليال lyall في مقدمة ترجمة المفضليات، ولكن مرجيلوث عاد ونشر في المجلة السابقة "عدد يوليو سنة ١٩٢٥" بحثًا عنوانه: "أصول الشعر العربي" the origins of arabic poetry وقد أطال في هذا البحث، وذكر فيه الشبه التي دعته إلى الشك في الشعر الجاهلي ، وحملته على أن يقول: إن الشعر الذي جمع ونسب إلى الجاهليين مصنوع ومنحول، صنع في العصور الإسلامية، ونسبه واضعوه إلى شعراء جاهليين زورًا وبهتانًا[1].

ملخص مقالته باختصار: أنه كان قبل الإسلام في الجزيرة العربية شعر وشعراء بدليل ورود الإشارة إلى ذلك في القرآن، ثم يتعرض لوصف القرآن للشعراء، ويشير إلى العدد الكبير من الشعراء الجاهليين الذي وردت لهم أشعار في الأدب الجاهلي، ويشك في أن الشعر الجاهلي قد حفظ بالرواية الشفهية لأن الإسلام –في نظره– ما كان يحث على ذلك، ولكنه في الوقت ذاته يحاول أن ينفي أن الشعر الجاهلي كتب كذلك، إذ إنه لو حفظ بطريق

[1]() مرجع سابق ، علي الجندي ، الكتاب: في تاريخ الأدب الجاهلي ، ص١٧٩ .

الكتابة، لكان للعرب –في نظره– كتاب أو كتب، والقرآن ينفي أنه كان لهم كتاب، ويزعم أن الشعر الجاهلي الموجود مرحلة تالية للقرآن لا سابقة عليه، ويرى أن التطور من الأسلوب القرآني إلى الأسلوب الشعري المنتظم يبدو –في نظره– متمشيًا مع المألوف، وهو بهذا يعتقد أن الشعر الجاهلي وضع بعد الإسلام بعد أن سمع العرب القرآن، فتأثروا به، فقالوا شعرهم بلغته وساروا بفنهم من الصور الشاذة إلى المنتظمة.

فكأنه يريد أن يقول: إن العرب قبل الإسلام، كان لهم شعر وفيهم شعراء ولكن شعرهم لم يكن كامل النضج، ولا في درجة عالية من التهذيب والكمال كالتي نرى عليها الشعر الجاهلي المنسوب إلى الجاهليين، وبعد أن سمع العرب القرآن، تطوروا بفنهم الشعري إلى هذه الدرجة العليا من النضج والكمال. التي نرى عليها الشعر المنسوب إلى الجاهليين.

ويجره الحديث إلى الرواية والرواة، فيتحدث عن سوء أخلاق الرواة أمثال حماد وخلف، ويذكر ما قاله كل من الرواة في الآخرين، ويدعي أنهم لم يكونوا يوثق بعضهم بعضًا، وينكر الرواية بحجة أن الشعراء الجاهليين كانوا لسان الوثنية الناطق، وقد أبطل الإسلام الوثنية وحاربها، فلم يكن هناك مجال –في نظره– لحفظ تلك الأشعار التي قيلت في نظام أبطله الإسلام.

وهو بهذا كله يرى أن الشعر الذي وصلنا منسوبًا إلى الجاهليين، ليس لهم، وإنما قيل بعد الإسلام ونسب إليهم، ويستمر في إيراد الأدلة التي يعتقد أنها تؤيد رأيه هذا، فيدعي أن الشعر الجاهلي المنسوب إلى الجاهليين يحمل في طياته دلائل بطلانه، ذلك أن فيه كثيرًا من القصص الديني الذي ورد في القرآن ، ومن ينظر في كلام مرجليوث السابق يجد أنه تضمن أفكارًا عجيبة، لا تعتمد على سند عقلي سليم [1] .

وإذا كان (مرجليوث) ينكر الرواية الشفهية، والكتابة، في المحافظة على الشعر الجاهلي، فبأي الوسائل كان يحفظ، أو يتناقل من مكان إلى آخر، ومن جيل إلى جيل؟ إنه لمن البديهي أن نقول: إن الأغاني والأناشيد التي يرتلها الأميون ومن هم على الفطرة، يتناقلونها من جيل إلى جيل عن طريق الرواية الشهفية، إن لم تجد من يدونها، والكتاب الذي

[1]() مرجع سابق ، علي الجندي ، الكتاب: في تاريخ الأدب الجاهلي ، ص١٨٠ .

ينفي القرآن وجوده بين العرب يقصد به الكتاب الديني المقدس، ثم إن الطعن في الرواة جميعهم، ورفضهم كلهم بحجة سوء أخلاق بعضهم أو بسبب بعض كلمات تقال، طعنًا فيهم، بدافع الغيرة والتنافس، أمر لا يستسيغه المنطق، ولا يقبله منصف، ولماذا لا نأخذ في الاعتبار شهادات الاعتراف بالأمانة والصدق والنزاهة التي قيلت في كثير من الرواة الصادقين؟ [١] .

[١] () مرجع سابق ، علي الجندي ، الكتاب: في تاريخ الأدب الجاهلي ، ص١٨١ .

الفصل الثالث

قضية الانتحال عند الباحثون العرب :

فأشهر من تحدث في قضية انتحال الأدب الجاهلي منهم اثنان، هما الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، والأستاذ الدكتور طه حسين :

أولا (الأستاذ مصطفى صادق الرافعي) :

عرض هذه القضية عرضًا مفصلًا في كتابه "تاريخ آداب العرب" الذي ألفه سنة ١٩١١م، وقد جمع كل ما قاله الباحثون القدماء حول هذا الموضوع، فذكر ما قيل حول استكثار القبائل من أشعارها حينما وجدت أن ما لها منه قليل، وأن أكثرها في ذلك كانت قبيلة قريش . ثم تحدث عما قيل في الشواهد وأنه دخلها كثير من الوضع والاختلاق، فالعلماء كانوا في حاجة إلى الشواهد في تفسير الغريب ومسائل النحو ويذكر أن الكوفيين اتهموا بأنهم كانوا أكثر الناس وضعًا للشعر الذي يستشهدون به لضعف مذهبهم، وتعلقهم بالشواذ، واتخاذهم منها أصولًا يقاس عليها، فكانوا يتخذون من الشاذ أصلًا ، ويقال: إن أول من سن لهم هذه الطريقة شيخهم الكسائي، ولهذا يقولون إن الكوفيين اضطروا إلى الوضع فيما لا يصيبون له شاهدًا إذا كان العرب على خلافهم، ولذلك كثيرًا ما نجد في شواهدهم من الشعر ما لا يعرف قائله، بل ربما استشهدوا بشطر بيت لا يعرف قائله.

ويتعرض كذلك للشواهد التي كان يخترعها بعض المتكلمين والمعتزلة ليستشهدوا بها على آرائهم ، ويذكر ما جاءوا به ليثبتوا أن معنى الكرسي هو العلم في قوله تعالى: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْض} ، إذ قالوا شطر بيت لشاعر مجهول: هو:

ولا بكرسي علم الله مخلوق

ثم ذكر أثر القصص في انتحال الشعر، فقال: إن القصاصين لما كثروا واضطروا أن يضعوا الشعر لما يلفقونه من الأساطير، ليثبتوا تلك الأساطير في أفئدة العامة، فوضعوا الشعر على آدم، ومن دونه من الأنبياء، ثم جاوزوا ذلك إلى عاد وثمود، كما أن للأعراب شعرًا ينسبونه إلى الجن .

ثم عرض ما قيل في شأن الرواية، والرواة فقال: إن الاتساع في الرواية كان من أسباب الوضع، فالرواة كانوا يتهافتون على الشعر، ويتسابقون على روايته؛ لأنه عمود

الرواية وزينتها، وكان التسابق فيه من جهتين: الاتساع في الرواية، ومعرفة تفسيره والبصر بمعانيه.

ويذكر أن بعض الفحول من الرواة كانوا يحبون أن يتسعوا في روايتهم، فيستأثروا بما لا يحسن غيرهم من أبوابها، إظهارًا لتفوقهم، وأنهم يعرفون ما لا يعرف غيرهم، وأن ذاكرتهم أقوى من سواهم، ولذلك كانوا يضعون على فحول الشعراء قصائد لم يقولوها، ويزيدون في قصائدهم التي تعرف لهم، ويضرب مثلًا لهؤلاء الرواة بحماد الراوية وخلف، ويذكر نبذًا مما قيل عن رواية كل منهما .

فالأستاذ الرافعي قد استقصى كل ما قاله الباحثون من العرب القدماء، وجمعه في القسم الذي خصصه لهذا الموضوع [1].

ثانيا (الدكتور طه حسين) :

فقد ألم بالموضوع من جميع نواحيه، ووقف على ما قاله جميع الباحثين من العرب والمستشرقين حول قضية الانتحال، وكون له في ذلك رأيًا، شرحه في كتاب نشره في سنة ١٩٢٦، سماه "في الشعر الجاهلي" ثم نشره في السنة التالية باسم "في الأدب الجاهلي"، وقد أحدث هذا الكتاب حينئذ ضجة عنيفة، فألف بعض الباحثين كتبًا في الرد عليه ، وهذا الكتاب يدور حول رأي الدكتور طه حسين في الأدب الجاهلي الذي انتهى إليه بعد البحث والتفكير، والقراءة والتدبر، وقد لخص رأيه هذا بقوله : "إن الكثرة المطلقة مما نسميه أدبًا جاهليًّا ليست من الجاهلية في شيء، وإنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين. ولا أكاد أشك في أن ما بقي من الأدب الجاهلي الصحيح قليل جدًّا. لا يمثل شيئًا، ولا يدل على شيء، ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الصحيحة لهذا العصر الجاهلي".

وظاهر أن الدكتور طه حسين في رأيه هذا متأثر بآراء الذين يطعنون في أصالة الأدب الجاهلي من المستشرقين، وعلى الأخص مرجليوث، ويعلق بلاشير على ذلك فيقول:

[1]() مرجع سابق ، علي الجندي ، الكتاب: في تاريخ الأدب الجاهلي ، ص١٨٣ .

وينفرد طه حسين عن مرجليوث في نقطة واحدة، فهو يعلم مبدئيًّا، بأن ليس كل ما يسمى بالشعر الجاهلي مصنوعًا، ولكن ما بقي من القديم منه قليل لا يمثل شيئًا، ولا يدل على شيء، وهكذا فهو بوقوفه موقفًا حذرًا اقترب بفكرته من آراء عدد من المستشرقين، أمثال جولد زيهر، ونور أندريه، ووليام مارسيه، وتريتون، وغود فروا، وديمونتين، وبرونليخ "في نقده الثاني لبحث مارجليوث سنة ١٩٧٢"، ويعتقد هؤلاء أن نولدكه وأهلوارد، ومدرستيهما يفسحون مجالًا واسعًا للشعر المسمى بالجاهلي. وهم وإن لم يثبتوا نظرية مرجليوث الجريئة، فقد وقفوا موقفًا فيه تحفظ".

ومن رأي الدكتور طه حسين، يتبين واضحًا، أنه لا يشك في كل الأدب المنسوب إلى الجاهليين، بل الشك عنده ينصب على الكثرة المطلقة من هذا الأدب، ومعنى هذا أن هناك قلة منه موضع الثقة والقبول، ولكنه يعود فيقول: إن هذا الجزء القليل الصحيح الباقي من الأدب الجاهلي لا يدل على شيء، ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الصحيحة لهذا العصر.

ولكن إذا كان هذا الجزء –ولو قليلًا– صحيحًا وأصيلًا، فلماذا نهمله ولا نعتمد عليه في أي شيء؟ أعتقد أنه إن لم يكن كافيًا لإعطاء صورة كاملة للعصر الجاهلي، فليس أقل من أن يعطينا صورة صحيحة جزئية تمثل الناحية التي هو نص صريح فيها.

وكأن الدكتور طه حينما دعا إلى عدم الاعتماد على البقية الباقية من تراث الجاهليين الأدبي في تصوير حالة الجاهليين، أحس أن الباحثين دائمًا يتطلعون إلى المصادر الهامة التي يعتمدون عليها في بحوثهم، فكان أن وجه الأنظار إلى المصدر الذي يعتقد أنه خير ما يصور حالة العرب قبل الإسلام، فقال : "إذا أردت أن أدرس الحياة الجاهلية فلست أسلك إليها طريق امرئ القيس والنابغة والأعشى وزهير وقس بن ساعدة وأكثم بن صيفي؛ لأني لا أثق بما ينسب إليهم، وإنما أسلك إليها طريقًا أخرى، وأدرسها في نص لا سبيل إلى الشك في صحته، أدرسها في القرآن، وأدرسها في شعر هؤلاء الشعراء الذين عاصروا النبي، وجادلوه، وفي شعر الشعراء الآخرين الذين جاءوا بعده، ولم تكن نفوسهم قد طابت عن الآراء والحياة التي ألفها آباؤهم قبل ظهور الإسلام. بل أدرسها في الشعر الأموي نفسه، فلست أعرف أمة من الأمم القديمة استمسكت بمذهب المحافظة في الأدب، ولم تجدد فيه إلا بمقدار، كالأمة

العربية. فحياة العرب الجاهليين ظاهرة في شعر الفرزدق وجرير وذي الرمة والأخطل والراعي أكثر من ظهورها في هذا الشعر الذي ينسب إلى طرفة وعنترة وبشر بن أبي خازم". ثم يسير في بيان الأسباب التي دعته إلى توجيه الباحثين عن صورة صادقة لحياة الجاهليين أن يلتمسوا ذلك في القرآن: فيحاول أن يشرح أن القرآن صور حالتهم الدينية خير تصوير، ووصف حياتهم العقلية والاقتصادية والاجتماعية أحسن وصف [١] .

الخاتمة :

تكمن خطورة هذه القضية وعظم أمرها في أمور كثيرة، منها:

١. في صلته بالقرآن الكريم وإعجازه.
٢. في صلته بالقواعد والضوابط التي وضعت على أساسها.
٣. في صلته بالمعاني والدلالات التي أقيمت عليها.
٤. في صلته بجميع الدراسات التي أقيمت على أساسها.

وفي الختام نستنتج عدة نتائج أهمها :

١- يتضح أن الانتحال والطعن في الشعر الجاهلي عامة فهو من ضمن مساوئ وسلبيات قام بها المستشرقون في دراساتهم وبحوثهم، وان التشكيك في التراث العربي بالطعن في أصوله هدف يريد هؤلاء من ورائه الوصول إلى الطعن في القرآن الكريم والتشكيك فيه؛ لأنه ينبني على هذه النظرية الطعن في إعجاز القرآن الكريم، فإن في إنكار الشعر الجاهلي والأدب الجاهلي إنكارا لكون القرآن الكريم معجزة جاءت لتحدي العرب الذين برعوا في صناعة الكلام، واشتهروا بالبلاغة العالية، والفصاحة النادرة. فإذا وصلوا إلى هدم أساس إعجاز القرآن الكريم، وكونه من كلام الله المعجز، عمدوا إلى الطعن فيه مباشرة، "يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولوكره المشركون [٢] .

---

[١] () مرجع سابق ، علي الجندي ، الكتاب: في تاريخ الأدب الجاهلي ، ص١٨٤ وص١٨٥ .

[٢] () وسيم المحمدي ، دراسة بعنوان قضية الانتحال في الشعر العربي، مجلة دار المنظومة ، المدينة المنورة ، السعودية .

٢- وضح ابن سلام أن أسباب الوضع والانتحال في الشعر الجاهلي، وأرجعها إلى سببين رئيسين العصبية القبلية و الرواة الواضعون .

٣- دافع وضح محمود شاكر على الشعر الجاهلي وبين أن أفكار طه حسين وأمثاله المتعلقة بالشعر الجاهلي ليست إلا مجرد سطو على أفكار المستشرقين قبلهم، ولاسيما مرجليوث الذي سطا الدكتور طه حسين على أراءه سطوا .

٤- أنكر مرجليوث الرواية بحجة أن الشعراء الجاهليين كانوا لسان الوثنية الناطق، وقد أبطل الإسلام الوثنية وحاربها .

٥- يقري مصطفي صادق الرفاعي أن القصاصين لما كثروا واضطروا أن يضعوا الشعر لما يلفقونه من الأساطير، ليثبتوا تلك الأساطير في أفئدة العامة، فوضعوا الشعر على آدم، ومن دونه من الأنبياء، ثم جاوزوا ذلك إلى عاد وثمود، كما أن للأعراب شعرًا ينسبونه إلى الجن .

المراجـــع

١. ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود شاكر، القاهرة ١٩٥٢ "طبع دار المعارف" ، مصر .

٢. علي الجندي ، الكتاب: في تاريخ الأدب الجاهلي ، الناشر: مكتبة دار التراث ، الطبعة: طبعة دار التراث الأول ، سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م

٣. حسام محمد علم ، دراسة بعنوان : انتحال الشعر الجاهلي بين المد الإنكاري المسقم ، و التصدي الأزهري الموجه ، الناشر جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية بالزقازيق ، ٢٠١٢م .

٤. وسيم المحمدي ، دراسة بعنوان : قضية الانتحال في الشعر العربي، مجلة دار المنظومة ، المدينة المنورة ، السعودية .

٥. محمود محمد شاكر ، قضيه **الشعر الجاهلي** في كتاب ابن سلام ، مطبعه المدني ، القاهرة . مصر ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .

٦. لسان العرب ، ١٤/٧٤-٧٥ .